المفاهيم العامة للثقافة وانعكاساتها واجتياح الفنون والثقافة التركية للثقافة العربية

د/عبد السلام عفوفو
أستاذ محاضر بكلية العلوم الإسلامية
جامعة الجزائر

إن مفاهيم وتعاريف الثقافة واسعة ومتشعبة وسنتعرض في هذا الموضوع إلى آراء ووجهات نظر بعض المفكرين لتحديد هذا المصطلح وهذا المفهوم. فالثقافة هي روح الأمة وعنوان هويتها وهي من الركائز الأساسية في بناء الأمم ونهوضها ولكل أمة ثقافة تستمد منها عناصرها ومقوماتها وخصائصها.

فالتاريخ الإنساني يعرف الثقافات اليونانية والرومانية والهلينية والهندية والمصرية الفرعونية والأفريقية، والثقافة الفارسية وثقافة أمريكا اللا تينية وغيرها من الثقافات.

فالثقافة كلمة عريقة في اللغة العربية. وهي تعني صقل النفس والمنطق والفطانة، واستعملت الثقافة في العصر الحديث للدلالة على الرقي الفكري والأدبي والاجتماعي للأ فراد والجماعات.

فالثقافة هي الكل المركب الذي يتضمن المعارف والعقائد والفنون والأخلاق والقوانين والعادات[1].

ومفهوم الثقافة عند علماء الاجتماعيات - أن الثقافة عبارة عن تلك المعايير المشكلة لنظام العقل والسلوك في مجتمع ما أو لدى جماعة ما[2].

فالثقافة تحتوي على معرفة ومعتقدات كالفن والأخلاق والقانون والعرف والعادات التي حصل عليها الإنسان، والثقافة تنظيم أنماط السلوك والأفكار والمشاعر التي تعتمد استخدام الرموز، والثقافة أنماط ناشئة عن تطور تاريخي أو مجموعة من العادات المقبولة في جماعة معينة[3].

وإذا كانت الثقافة تركيب من المعارف والمعتقدات وأنماط السلوك والمشاعر التي تكونت مع تطور الأمم عبر التاريخ، فإنها بالضرورة مرتبطة ارتباطا وثيقا بشخصية الأفراد والشعوب، ويرى في ذلك الأستاذ ميشيل عفلق أن الإنسان العربي إذا لم يحصن بثقافته التي تعبر عن شخصيته القومية فانه يكون عرضة للتأثر بالثقافات الأخرى أو الانسياق وراءها[4]

لقد تعددت مفاهيم الثقافة وتنوعت، فالثقافة بالمعنى الأنثروبولوجي مفهوم يشمل كل فعالية للإنسان تميزه من أفعال الطبيعة، فكل نشاط ذهني أو مادي يقوم به لرفض التقبل السلبي للطبيعة هو ثقافة اعتبارا من أبسط سلوك الإنسان البدائي إلى العصر الإلكتروني، ويدخل في هذا المفهوم كل ما تنتج البشرية في الحياة من إنتاج مادي وغير مادي سواء أكان تراكم خبرات أم ممارسات فكرية أم تصورات من عقائد روحية أم صنع أدوات أم تقليد معين من التقاليد.

المبحث الأول: مفهوم الثقافة:

إن المفاهيم والتعريفات والمدلولات التي تشير إلى تعريف الثقافة تتسع وتختلف الواحدة عن الأخرى بتعدد الثقافات والحضارات والميول الفكرية لكل باحث ودارس، بحيث نرى مختلف المفكرين وهيئات عرفت الثقافة كما سيأتي:

المطلب الأول: حسب المفكرين الغربيين والعرب:

أ) حسب المفكرين العرب:

- تعريف وزارة الثقافة الأردنية: لقد عرفتها بأنها منظومة معرفية سلوكية متكاملة منتقاة، تشمل العقائد وكل ما صنعه الإنسان بعقله ويده في بيئته الاجتماعية وهي وعي الإنسان بالحياة بما يحقق به نفسه ووجوده ورؤاه والتعبير عن ذلك بمختلف أوجه النشاط الإنساني، وتؤكد وزارة الثقافة في رسالتها على أن ثقافة الأمة هي صورة حية لها تحدد ملامح شخصيتها وتصدر عن عقيدته ومبادئها ونظمها وتاريخها وتراثها وتتفاعل مع ثقافات الأمم والشعوب الأخرى فتأخذ الأفكار والعلوم والفنون المختلفة المتطورة وتقبل ما يلائمها وترفض ما دون ذلك.

الثقافة بالمعنى العربي الأصلي للكلمة تعني سرعة التعلم والحذق والفطنة وثبات المعرفة بما يحتاج المرء إليه، أما في اللغة اللاتينية (Culture) بعد أن لاقت

هذه الكلمة رواجا كبيرا في عصر التنوير الأوروبي وخاصة في ألمانيا، فثمة من يميل إلى دراسة الثقافة في حد ذاتها والتنقيب عن وظائفها الاجتماعية المطلقة [5].

- مفهوم الثقافة في رأي الدكتور محمد بن مرسي الحارثي من جامعة أم القرى بمكة المكرمة: هي حركة الفعل الإنساني في هذا الكون المنطلقة من الأمم والشعوب الفكرية والمادية العائدة إليها بما تحمله من إضافات.

رأي الدكتور حسن حنفي: إن لكل ثقافة مسارها ولا يوجد مسار واحد لجميع الثقافات، فالثقافة تعبر عن مرحلة تاريخية بعينها وتشكل في إطار الوعي التاريخي لأمة ومن خلاله [6].

- رأي الدكتورة سلوى العمد: أن مصطلحي ثقافة ومثقف في الوجدان العربي المعاصر تشير لمجمل النتائج الذهنية للمفكرين والأدباء وغيرهم من المبدعين في ميادين الأدب والفكر والفن.

- يرى الدكتور عصام نجيب أن الثقافة تكوين مفاهيمي مركب يدل على ما اكتسبه الإنسان العاقل تراكميا من أساليب سلوك مادية ومعنوية منظورة باستمرار ويستخدمها في اتصاله بالواقع الاجتماعي الذي يعيش به.

والسلوك عنده تضم سمات نفسية وعناصر أدائية متعددة يمكن تصفيتها حسب متعلقات الذات الإنسانية والكفاية الاقتصادية والعلاقات الإنسانية والمسؤولية المدنية والتعامل مع المعلومات [7].

- تعريف الدكتور عليان عبد الله الحولي: الثقافة هي مجموع الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه ولتكون هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته [8].

ب) حسب المفكرين الغربيين:

- لقد عرف الثقافة المفكر تايلور سنة 1871 بقوله: " الثقافة أو الحضارة بمعناها الأثنوغرافي هي مجمل التركيبة التي تحتوي على المعارف والعقائد والفن والأخلاق والقانون والتقاليد وكل القدرات التي يكتسبها الإنسان بصفته عضوا في مجتمع ما.

- كايلان أحد علماء الأنثروبولوجيا حيث يقول أن علماء الأنثرويولوجيا يجمعون على أمر واحد على الأقل وهو أن الثقافة تتألف من نماذج من التقاليد المترابطة التي

استمر تداولها عبر الزمان والمكان بوسائل غير بيولوجية أي من خلال إعْمَالْ العقل والقدرات اللغوية والترميزية التي تميز بها الإنسان عن سائر المخلوقات [9].

المطلب الثاني: حسب منظمة اليونسكو:

خلال الإعلان الختامي الذي اعتمده المؤتمر العالمي للسياسات الثقافية الذي عقد في مكسيكو من السادس آب عام 1982 والمسمى بإعلان مكسيكو بشأن السياسات الثقافية والذي يعرف مفهوم الثقافة كما يلي (الثقافة بمعناها الواسع قد تكون اليوم عبارة عن جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان وتظم القيم والتقاليد والمعتقدات.

هذا ما أكد عليه التقرير النهائي للمؤتمر الدولي الحكومي للسياسات الثقافية من أجل التنمية 1998/4.

- كما عرفت منظمة اليونسكو الثقافة العربية بأنها: مجموعة الحقائق والنشاطات الفكرية والفنية والعلمية للمجموعة المعاصرة من الشعوب المنتمية إلى الحضارة العربية، كما تتمثل هذه الثقافة في استخدام الوسائل التي تعبر بها هذه المجموعة عن نشاطاتها وتبليغ رسالتها إلى أبنائها وإلى سائر العالم وتبليغ رسالة العالم وأدائها في بلادها[10].

المطلب الثالث: الثقافة من البعد الإسلامي:

يرى اجنتس كولد زيهر- أن الإسلام قد أكد استعداده وقدرته على امتصاص الآراء كما أكد قدرته كذلك على صهر تلك العناصر الأجنبية كلها في بوتقة واحدة فأصبحت لا تبدو على حقيقتها إلا إذا حللت تحليلا دقيقا وبحثت بحثا نقديا دقيقا[11]

- يقول برنارد لويس: إن الحضارة الإسلامية رغم تنوع أصولها لم تكن مجرد جمع آلي للثقافات القديمة بل هي بالأحرى خلق جديد انبعثت فيه جميع هذه العناصر لتكون حضارة جديدة وذلك بأن انتقلت إلى صورة عربية وإسلامية- وهذه العملية سمة مميزة لكل مرحلة من مراحل تطور هذه الحضارة [12].

- يرى الدكتور عوض الجميعي: أن قدرة الحضارة العربية الإسلامية على الاستمداد الثقافي قد بين فاعليتها الحضارية وكشف عن أبعادها الثقافية المتجددة عدد غير قليل ممن درسوا العربية والإسلام من غير العرب والمسلمين[13].

نستنتج مما تقدم أن الثقافة الإسلامية متميزة متسعة لما حولها من الثقافات فهي قادرة على استيعاب العناصر الأجنبية في منابتها الأولى.

والإسلام في جوهره لا يمنع نقل عناصر ثقافية أخرى إلى صور إسلامية تلتئم مع مبادئه ومفاهيمه الأساسية بما لا يتنافى مع خصوصية الثقافة العربية والإسلامية، فما يمكن أسلمته وتعريبه بوعي وإدراك بعيدا عن أسباب الكراهية والعداوة، فليس من مانع أن تحول عناصره الاجتماعية إلى ما يمكن أن يوظف ويتوصل به إلى إمكانية النماء والتطور وتشييد البناء لمواجهة التحديات الحضارية والاقتصادية والثقافية وغيرها [14].

والثقافة أمر ينطلق من ذات الإنسان ويحمل معنى التقويم والتنقية بهذه الذات باتجاه معاني الخير والحق والعدل والجمال وسائر الصفات والقيم والأخلاق الحميدة ومجمل المبادئ والأسس والقيم التي نؤمن بها ونلتزمها ونعمل على تطبيقها وهي كل ما يميز شخصية الأمة من لغة وفكر وفنون وعلوم وتقاليد وأعراف، والثقافة هي التي تقود الحركة الحضارية للأمة وتوجهها وتضبطها وهي التي تحكم حركة الإبداع والإنتاج المعرفي في مقابل المدنية التي تتجه غالبا إلى حركة الإبداع التقني والمادي، ولمواجهة تحديات العولمة على ثقافتنا ولغتنا علينا تحديد بعض مميزات ثقافتنا التي تتعارض وتتناقض مع ثقافة العولمة ومن أبرزها أن الإنسان هو المحور الرئيسي في حضارتنا وبإيمانه الديني وبقيمه ومبادئه السامية المستمدة من الوحي الإلهي وروحه الجماعية وتوازنه الروحي المادي أو المعنوي بحيث لا يطغى جانب على آخر وبالتالي يتولد عنده الاعتدال والوسطية ويمنع عنه الانحراف والتطرف، وثقافتنا تمجد القيم وتعلي من شأنها، وتقدس الرابطة الزوجية.

أما إذا كنا بصدد قيم العولمة أو أهدافها، وسماتها الثقافية التي تحاول تعميمها والتي تنطلق من الليبرالية مع تنقيحات أمريكية فإن ما تعتمده هذه الثقافة العولمية المتحركة، أن ثقافة العولمة تمجد الاستهلاك والمبالغة في الصرف إلى حد التبذير من جهة وإلى حرمان عند شعوب الجنوب الفقيرة، وتقديس الفردية

وشعارها كما قال لويس التاسع الفرنسي (بعدي الطوفان). فثقافة العولمة تشكل فيها الدولة دور الحارس لصالح الأفراد والغلبة فيها للأقوى نفوذا من الناحية المالية والإعلامية أو السياسية وثقافة العولمة البطل فيها لا يموت، وحياة البطل ولو كان رئيس العصابة أهم من حياة أفراد المجموعة أيا كانت هذه المجموعة. وثقافة العولمة تولد مناخات للعنف وهي مادية الأبعاد ولا تقيم وزنا لغير الكم والمقدار ولغة الأرقام ولا يعنيها إذا كان ذلك على حساب الآخرين، ولا اعتبار فيها للقيم الأخلاقية السامية بل تنشر ثقافة وفنا وضيعين وثقافة العولمة لا تخاطب النخب الواعية، ولا مكان للأسرة المستقرة في ثقافة منادي العولمة وأن ثقافتهم لا تحترم الخصائص العقدية والثقافية للشعوب والأمم أي أنها لاتحترم المجتمع التعددي ولا التنوع رغم زعمهم بأنهم يعملون من أجل حقوق الإنسان. بحيث يسوقون مقولتهم. المجتمع التعددي ولا التنوع رغم زعمهم بأنهم يعملون من أجل حقوق الإنسان، بحيث يسوقون مقولتهم (العالم قرية كونية لا حدود فيه)[15].

المبحث الثاني: انعكاسات المفاهيم الثقافية:

يكتسب موضوع التفاعل الثقافي أهمية كبرى، بحيث يشير مفهوم التبادل الثقافي إلى ذلك النشاط الذي يعبر عن تفاعل الحضارات والثقافات بما فيها من تأثر وتأثير طبيعي وضروري بين الثقافات البشرية، ويقوم التبادل الثقافي بين الأمم على أساس الحوار المبني على الاعتراف بأن لدى الآخرين ما يمكن تعلمه عنهم ومنهم. إلا أن القبول بالآخر قد يؤدي إلى تنامي وهيمنة ثقافته، وصياغتها على نمط واحد بدلا من إغنائها وإثرائها بأنماط الثقافات المختلفة [16].

وقد يؤدي ارتباط عملية التبادل الثقافي إلى حدوث نوع من التبادل اللا متكافئ بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية، وما يعنيه ذلك من احتمالات لعودة عمليات الغزو الثقافي وتكريس مفاهيم التبعية الثقافية، وغير ذلك من تداعيات عملية تصدير العادات والقيم الغربية الاستهلاكية، إلى العالم العربي والإسلامي من خلال وسائل الترغيب والإغراء وتقديم هذه الأنماط السلوكية من خلال وسائل الإعلام كنمط من أنماط الإمبريالية الثقافية التي تمارسها أمريكا على هذه المجتمعات وغيرها [17].

إن دعاة هذا التوجه بأن الوحدات الثقافية التي تتشكل على أساسها هويات الأمم ستكون صاحبة الدور الأقوى في تحديد أطر التعاون بين الشعوب

والمؤسسات على جميع الأصعدة بما في ذلك الاقتصاد لأن التوحد الثقافي والتفاهم يستميل من كان في هذه الخانة إلى الرغبة في التعاون فيما بينهم، وهذا معناه أن العرب والعالم الإسلامي أصحاب الثقافة الواحدة، سيعانون من طغيان وجشع الغرب.

ولهذا الغرض ولتوضيح الأفكار المعالجة لهذا الموضوع خصصنا المطلب الأول لدراسة انعكاسات المظاهر الثقافية والمطلب الثاني لإفرازات االهوية وأخيرا المطلب الثالث لمتغيرات الانتماء.

المطلب الأول: انعكاسات المظاهر الثقافية:

لمواجهة تحديات الغرب على ثقافتنا العربية الإسلامية ولغتنا. خاصة وأن اللغة والدين أصبحا مقصدين للغرب وأصبحت الثقافة نقطة الخطر العظمى حيث تصادر الهويات وتزاح ثقافات وتتفه لغات ليحل محلها لغة واحدة – لغة القطب الرئيسي. فالعناصر الرئيسة لأي ثقافة أو حضارة هي اللغة والدين [18].

وانتصار الغرب رهن بإلغاء الأديان واللغات والإبقاء على دين واحد ولغة واحدة غربية (عولمية) ولمواجهة ذلك على ثقافتنا العربية الإسلامية ولغتنا يجب علينا تحديد بعض مميزات ثقافتنا التي لا شك أنها تتعارض كليا وتتناقض مع ثقافة الغرب ومن أبرز مقومات ثقافتنا العربية:

1) الإيمان الديني: حيث أن الأمة العربية مهد الرسالات السماوية المتعاقبة وبالتالي فإن القيم الناظمة لحضارتنا قيم ومبادئ سامية مستمدة من الوحي الإلهي وأن حركة أمتنا الحضارية ومسارها التاريخي لا يناسبها إلا هذه القيم.

2) الإنسان العربي انطلاقا من النص القرآني: [ولقد كرمنا بني آدم...][19] وهو المحور الرئيسي في حضارتنا والغاية من ذلك تحقيق سعادته.

3) الروح الجماعية: فثقافة العرب تنبذ الأنانية بحيث أن الإنسان يتعوذ من الأنا كما يتعود من الشيطان. ولا تقديس في ثقافتنا للفردية وعبادة الذات ومصالحها كما هو الحال عليه في الدول الغربية خاصة أمريكا. إذ لا مانع عندها وفي ظل لبراليتهم من أن يسخر المجتمع أو بعضه لمصالح الإنسان الفرد صاحب النفوذ[20].

4) التوازن الروحي: سواء بذلك أكان التوازن ماديا أ ومعنويا بحث لا يطغى جانب على آخر، والتوازن يولد الاعتدال والوسطية ويمنع الانحراف والتطرف.

5) ثقافتنا العربية تمجد القيم وتعلي من شأنها فتشجع على التزام الفضائل ومحاسن الأخلاق، وتنبذ مساوئ الأخلاق والمفاسد.

6) انطلاقا من قاعدة تصنف الأسرة في المقام الأسمى: فان ثقافتنا تقدس الرابطة الزوجية واستقرار الأسرة والسكن في العلاقة بين أطرافها هو الأساس، ولذلك وجب الربط بين الوعي القومي والهدف الوحدوي، والوعي الثقافي والوعي القومي لا يبلغان الكمال ما لم يرافقهما وعي لغوي سليم إذ كيف يكون هناك وعي ثقافي وقومي إذا لم يكن قبلهما وعي لأول مقومات الثقافة القومية [21]

ولمواجهة تحديات الغرب في ميدان الثقافة علينا إعداد جيل- تربويا ولا نغلق باب الانفتاح على الآخرين والحوار مع من يجب التحاور معه وقبول الآخر الذي لا يمارس العدوان ولا الاغتصاب لحقوق الأمة وللوصول إلى هذه الغاية نحتاج إلى اعتماد منهج ديمقراطي ومناخ حريات عامة لا مكان فيه للتمييز على أساس الدين أو اللون أو العرق لأن قيمنا ببعدها العالمي الإنساني تقوم على منهج الانفتاح والتفاعل من أجل التقدم والتطوير كي تحقق المناخات اللازمة لإسعاد الإنسان مع احترام التنوع وهذا يبدأ من داخل الأمة خلافا لما تهدف إليه الغرب المنادي بالعولمة من سيادة نظرة أحادية من أجل تحقيق السيطرة والهيمنة مع العمل على إلغاء الآخرين وهذا نموذج العولمة الأمركة الذي يريد أن تحل ليبراليته بديلا من القيم الناظمة لحضارات الآخرين، مع التركيز على القيم المادية وهذه لا تقيم وزنا للإيمان ولا للقيم الأخلاقية والفضائل[22]، بينما تؤسس قيم الثقافة الإسلامية وما تمليه من قواعد تربوية لمنهج العمل من أجل امتلاك القدرات وإعمار الأرض مع توظيف كل الأفعال والممارسات باتجاه ما يحقق مرضاة الله تعالى.

ولتتوافر للجميع ظروف العيش الكريم على أساس الآية القرآنية: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾[23].

فالنزعة الفردية وتقديسها وتسخير المجتمع أو بعضه لمصالح الإنسان الفرد صاحب النفوذ أو الرجل السوبرمان كما قال الفيلسوف الألماني (نيتشه) وهذه

النزعة الفردية التي تتركز عليه فكرة الغرب لا تتلاءم مع النظام الاجتماعي الذي تدعو له قيمنا ومبادئنا الثقافية السامية.

ففكرة الغرب تنشر قيما ومفاهيم عنصرية داعمة بذلك العنصرية الصهيونية كما لا يخفى على أحد فلا احترام لكرامة الإنسان ولا لقيمه الأخلاقية ولا للفضائل، فالفرد له كرامته وحقوقه وعليه واجبات على أساس عادل، وأفراد المجتمع من الأسرة إلى الأمة متكافلون متوادون متراحمون يسعون في كل أمورهم صفا واحدا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، كما جاء في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ [24].

فثقافة الغرب تعتمد أكثر من مكيال في وقت واحد كما هو الحال عند الأمريكي إذ نجده قد طالب بتقديم الرئيس الصربي العنصري السابق لمحكمة العدل الدولية دون أن يطالب بتقديم قادة العدو الإسرائيلي للمحاكمة من سنة 1948 إلى يومنا هذا، بينما ثقافتنا وقيما تأمرنا بالعدل والمساواة بين الناس ودليل ذلك القول المشهور لخليفة رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه الملقب بالفاروق، قوله: **"متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا"** وهذا توجيه ونشر قانون الحق والعدل ومنع الظلم والعدوان.

وبذلك يستلزم أن نؤسس لجيل ملتزم قيم العدالة يقاوم الظلم ويجاهد بمختلف السبل والوسائل على أساس قانون المدافعة وبكل شجاعة واستعداد للتضحية والفداء [25]. لان الخطر الأعظم يتجلى في ظل الاجتياح الفكر الثقافي الغربي الساعي إلى إنهاء الخصوصية الثقافية للشعوب وتفتيتها من خلال خلق بيئة ثقافية ومن خلال إحياء ثقافة للطوائف والأقليات العرقية والدينية، وسعيها لخلق نموذج ثقافي عالمي عولمي معمم على أجزاء المعمورة [26]

وباسم الثقافة تحرق المكتبات وتخرب وتنهب الجامعات ودور العلم وتهديمها وتدمير مختبراتها وملاحقة علمائها للقضاء على ثقافتنا العربية والإسلامية، إلا أن الثقافة الغربية العولمية مآلها الفشل والهزيمة- كما هزمت أصلا من قبل، لأن كل ما يؤسس على الظلم والباطل مصيره الفشل عاجلا أم آجلا، وبلغة القانون كل ما بني على باطل فهو باطل.

المطلب الثاني: إفرازات الهوية:

إن اتجاهات الغرب تسير نحو التأثير السلبي على الهوية، أول ما يثير الانتباه عند التأمل في موقف الغرب من هويات الشعوب هو جمعه بين موقفين متناقضين، فهو من جهة شديد الاعتزاز بهويته حريص عليها، وهو من جهة ثانية رافض للاعتزاز بالهويات الوطنية لشعوب العالم لإحساسه بأن فكره من شأنه أن يؤدي إلى مزيد من الوعي بالخصوصية الثقافية والحضارية وتلك هي نظرة الغرب عموما.

إن الهوية المفروضة على المجتمع الدولي بهذا المفهوم تتعارض تعارضا تاما مع قواعد القانون الدولي ومع طبيعة العلاقات الدولية.

فالغرب بفكره هذا يسعى إلى تذويب الهويات وطمس معالمها وتهجينها فأصبحت قضايا الهوية تأخذ شكلا حادا ليس فقط بالنسبة للشعوب التي تحاول أن تصوغ دولا قومية جديدة كما هو الحال في يوغوسلافيا السابقة وإنما على المستوى العام وكذا بالنسبة للبلاد ذات الصدع التي يوجد بها جماعات كبيرة من البشر ينتمون إلى حضارات مختلفة وفي تمشيهم مع أزمة الهوية[27].

الفرق شاسع بين فكر الغرب وفكرنا، حيث ندعو إلى حوار حضارات وتلاقح ثقافات على قاعدة الاعتراف المتبادل بين الأمم واحترام كل واحدة منها لخصائص هوية الأخرى وهذا ما دعت إليه الآية الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾[28].

بينما يدعو الغرب إلى فكر طرحه الأمريكي خلال التسعينات في محاولة السيطرة والانفراد بالقرار العالمي مع ممارسة غزو شامل للشعوب الأخرى، ومحاولة ضرب هويتنا وخصائصنا مركزا في ذلك على تعميم اللغة الإنجليزية في وسائل الإعلام والاتصال وأنظمة التجارة والمعلوماتية والتعليم خاصة الجامعي منه، مضافا إليه تعميم أنماط فنية هابطة تنطلق مما يسود المجتمع الأمريكي ويحاولون من خلاله تعميم نمطهم وفرضه على الشعوب بإقناع الآخرين ومنهم العرب والمسلمون بأن فكرهم أمر واقع ولا مناص منه وأن نهاية مطاف حركة ومسار التاريخ ستنتهي في أحضان الليبرالية الغربية بتطبيقاتها الأمريكية وما على الأمم إلا أن تسارع للحاق بهذا المسار ما دامت ستصل إليه لا محالة.

يصرح صامويل هنتنغتون في كتابه صدام الحضارات بقوله: "في العالم الجديد سوف تتأثر أشكال التجارة تأثرا حاسما بأشكال الثقافة، رجال الأعمال يعقدون صفقات مع أناس يمكن أن يفهموهم ويثقوا بهم، والدول تخضع سيادتها للإنجازات الدولية المكونة من دول ذات عقول متقاربة يفهمونهم ويثقون بهم وجذور التعاون الاقتصادي توجد في المشترك الثقافي والمشترك الثقافي ينطلق من اللغة والفكر والقيم كلها نسيج واحد متكامل وبذلك يكون العرب في ظل تحديات الفكر الغربي الذي تتزعمه أمريكا [29].

المطلب الثالث: متغيرات الانتماء:

لقد شكلت التحولات السياسية والاجتماعية منطق التحولات القيمية والاجتماعية الحادثة، فالتغير الاجتماعي وفقا لأبسط القانونيات الاجتماعية، ينعكس في صورة تغيرات قيمية تتناسب مع طبيعة ومستوى ومنطق التغيرات الحاصلة[30] وإذا كانت المنطقة العربية شهدت وتشهد تحولات سياسية واجتماعية عميقة فإن السؤال السوسيولوجي الذي يطرح هو كيف تنعكس هذه التغيرات في منظومة القيم السياسية والاجتماعية السائدة، وهل بدأت هذه المشاعر القومية تتلاشى وتتبدد تحت صدمة المعاناة الوجودية للشعوب العربية.

يصف خلدون النقيب هذه التحولات ويحلل مضامينها السوسيولوجية في دراسة له حول الثورة الصناعية حيث يقول: إن الجيل الذي يعيش في ظل هذه الثورة الصامتة (التغيرات القيمية في المجتمع) يخضع إلى تأثيرات متناقضة فهذا الجيل يملك مهارات أفضل للتعامل مع السياسة والقضايا العامة، ولكنه جيل تشكل وعيه وتلونه وسائل الإعلام [31] هذا الجيل هو جيل الأبطال الالكترونيين وسلاحف النينجا، ومدرسة المشاغبين وهذا الجيل أحسن تعليما وأوسع أفقا ولكنه فقد الثقة بالدولة القومية المبنية على فكرة الأمة ذات الخصائص المشتركة ولذلك فهو يوظف تعليمه في إذكاء النعرات القبلية والطائفية، تلك هي الجماعات التي يحس في كنفها بالأمان بعلاقاتها الوشائجية من حيث أن الوشيجة هي صلة الرحم العميقة الجذور في اللاوعي الجمعي [32].

ومن المظاهر المتناقضة اللافتة للنظر هذه الاستكانة إلى العلاقات الوشائجية والتبعية لشيخ القبيلة في الوقت الذي تتملك هذا الجيل نزعة التحدي للنخبة المهيمنة والحاكمة والتمرد بأخذ شكل التطرف الديني أو الرقص في

الديسكو، والغضب من اختلاس المال العام مع معرفة أن الاختلاس هو الطريقة الوحيدة للثروة بسرعة وبدون جهد ولا تعب [33].

وعلى المستوى الاجتماعي بدأت الشعوب العربية تعاني اندفاعات تحديات اجتماعية تتعلق بالفقر والبطالة والجريمة والإرهاب والأمية والتصحر وقهر المرأة وغياب الديمقراطية وانخفاض مستوى الحياة الاجتماعية إلى جانب اغترابها القومي.

شهدت هذه الشعوب ضغوطا كبيرة في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، ولقد بدا واضحا في العقد الأخير من الزمن وعبر تجارب سقوط الدول الاشتراكية أن القيم السياسية ذات الطابع الرسمي والإيديولوجي قد انهارت بين عشية وضحاها وتبين أن بعض القيم المضمرة استطاعت أن تنفلت من رباطها وأن تظهر بقوة لتشكل منطق السلوك والفعل السياسي والاجتماعي في كثير من الدول الاشتراكية سابقا، ففي الاتحاد السوفيتي هزمت القيم السياسية والاجتماعية فجأة والتي كانت تحتل مكان الصدارة في سلم القيم الاشتراكية، الأممية، الحزبية العمالية، وتبين جليا نهوض القيم القومية المناهضة للأممية والعرقية المناهضة للبعد الإنساني والليبرالية والاقتصاد الحر بديلا من مفهوم الاشتراكية، وهذه القيم كانت كامنة في عمق اللاشعور الاجتماعي، فبدأت الحروب ذات الطابع الإقليمي والطائفي والقومي لتتبدد أسطورة الوجود الاشتراكي في العالم، فالقيم تضرب جذورها عميقا في الثقافة وليس من السهل دائما تبديد القيم والقناعات القديمة وغرس القيم الجديدة.

لقد لاحظ إميل دور كهايم إبان التغيرات الكبرى ولا سيما انتقال المجتمعات الأوروبية من مرحلة الإنتاج الزراعي إلى مرحلة التصنيع- وجود مجتمعات أطلق عليها اصطلاح (Anomie) أي مجتمعات من غير قيم[34].

لقد قام نزار إبراهيم بدراسة مهمة بعنوان (البنى الاعتقادية في الذهنية الشبابية العربية المثقفة) حيث تناول في دراسته عينة واسعة من الشباب العربي تهدف هذه الدراسة إلى تقصي مضامين واتجاهات العقلية السائدة عند الشباب، وقد بينت الدراسة أولوية الانتماء الضيق عند الشباب العربي، حيث أخذت الانتقادات إلى العائلة والقبيلة أهمية أولوية على الانتماء الوطني أو القومي [35].

وفي الأخير نخلص القول إلى تصور شكل الفكر الغربي، وكيف سيبدو في المستقبل.

فمستقبل النظام الذي يسعى إليه الغرب ليس دائما محددا بدقة، لكنه يبدو أن هذا النظام أحادي القطبية تهيمن عليه الولايات المتحدة الأمريكية، وتحتفظ فيه بأصدقائها، بينما يتم التخلص من أعدائها بالإكراه. ومن المتوقع أن يستمر ذلك إلى أن تنهض قوة أخرى كالصين على سبيل المثال، وبما لديها من قوة لتواجه القوة المسيطرة حاليا، ومن المحتمل في ظل هذا التصور، وعلى نحو ما يؤكد عليه Beiles. .

أما اليابان من المحتمل أن تعاني من تقلص وانكماش في دورها الدولي، بل أنها ستتعرض لقيود تتزايد كثافتها بسبب قوى العولمة، أما روسيا فهي وعلى حد وصف جاك سنيدر (قوة متدهورة) ويخلص في قوله أن التهميش المتصاعد لدور روسيا على الساحة الدولية سيجعل منها كيانا غير ذي صلة. وبوجه عام، تتجه الأدبيات إلى التمييز بينسيناريوهات ستة تتضمن:

- نموذج الأقطاب الجغرافية الاقتصادية الثلاثة (الولايات المتحدة، واليابان، وألمانيا) وهو لا يولي أي أهمية لاحتمالات صعود قوى اقتصادية أخرى.

- إعادة إحياء نموذج توازن القوى، ويتضمن أربع قوى رئيسية هي (الولايات المتحدة، روسيا الاتحادية، والصين، وأوروبا)، المؤكد أن أي قوة منفردة لا يمكن لها تحقيق الهيمنة والسيطرة، ويمكن أن تبرز قوى دولية أخرى مثل اليابان والبرازيل، وبعض القوى الإقليمية الأخرى.

- نموذج صدام الحضارات الذي يذهب إلى أن صراعات المستقبل ستكون حضارية ثقافية.

- سيناريو مناطق السلام ومناطق الحروب. الأولى تتضمن الولايات المتحدة وغرب أوروبا وكندا واليابان، مقابل دول الاتحاد السوفييتي السابق، ومعظم دول آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية.

- نموذج القرية العالمية: أما نموذج القرية العالمية سوف يعتمد على التقدم التكنولوجي والمعرفي ووسائل الاتصال بشكل مباشر.

- نموذج الأقطاب المتضامنة، ويأخذ هذا النموذج في الاعتبار صعوبة العودة إلى القطبية الثنائية، ومن ثم يأخذ في الاعتبار باقي القوى الواعدة في النظام الذ1ي يدعو إليه الغرب بحيث تنتظم علاقاتها في إطار معسكرات يرأس كلا منها أحد هذه القوى في مواجهة الأخرى (الصين على سبيل المثال في مواجهة اليابان والولايات المتحدة).

المبحث الثالث: الغزو الثقافي التركي للمجتمعات العربية:

إن تركيا اليوم موجودة في كل بيت عربي وخاصة الشرق الأوسط، وهي موجودة في كل قضية ومسألة شرق أوسطية، وفي الأقاليم المحيطة بالشرق الأوسط، وسياستها الخارجية أقل ما يقال عنها أنها تتسم بالمبادرة وليس برد الفعل.

بدأ التأثير التركي بالانفتاح الاقتصادي الذي شكل بداية لبناء توازن ضروري بين الدولة والمجتمع عبر البواب الاقتصادية، وتكرس لاحقا عبر البوابة الثقافية، مع إعادة إعطاء الإسلام مكانته السياسية والمجتمعية في تركيا، وأن تركيا في مطلع هذه الألفية تهتم بمسألة أساسية، وهي مسألة حوار الثقافات والحضارات.

كثر الكلام عن مظاهر الغزو الثقافي التركي لمجتمعاتنا العربية، وأبرز دليلهم هو اجتياح الفنون والثقافة التركية المتمثلة في المسلسلات وخرائط البرامج التلفزيونية التي باتت في معظم الشاشات العربية.

المطلب الأول: اجتياح المسلسلات التركية لمعظم الشاشات العربية:

قبل التحدث عن مظاهر الغزو الثقافي التركي للمجتمعات العربية، علينا أن نبحث عما طرأ على العلاقات التركية العربية في مختلف المجالات، خلال العقد الأخير، وخلال عرض نماذج الحياة التركية التاريخية والمعاصرة عبر المسلسلات التلفزيونية المد بلجة [36]، وبالرجوع إلى مجال الاقتصاد نجد أن المنظمة العربية للتنمية الصناعية والتعدين التابعة للجامعة العربية قد أعلنت تنامي التجارة البيئية بين العالم العربي وتركيا خلال الفترة مابين 2002، 2009، حيث وصلت إلى 7ر27مليار دولار، وكانت الصادرات العربية مجتمعة لتركيا تقدر ب 7 مليارات دولار، بينما بلغت الصادرات التركية نحو البلدان العربية 22مليار دولار في سنة 2009ولم يقف طموح الأتراك عند هذا الحد بل عملوا على رفع صادراتهم تجاه الدول العربية حيث قفزت صادراتهم إلى 35 مليار دولار خلال عام 2011. وقد قال

وزير العلوم والصناعة والتكنولوجيا التركي نهاد إرغون بأن الحكومة التركية تستهدف الوصول بحجم التجارة مع الدول العربية (الدول الأعضاء بالجامعة العربية) إلى 100 مليار دولار خلال السنوات الخم القادمة، وقد أعلن الوزير التركي استعداد بلاده لتبني زيادة اتفاقيات التجارة الحرة وإلغاء تأشيرات الدخول بين تركيا والدول العربية، لم يقف الأمر عند زيادة التبادل الاقتصادي والميزان التجاري فحسب بل تضاعفت أعداد السواح العرب إلى تركيا، وقد سعد الأتراك باستبدال وجهة الأجانب الذين اعتادوا زيارة كل من مصر وتونس وسوريا واليمن إلى مدن تركية وجزرها خاصة منها جانبي البوسفور باسطنبول[37]

إن لوسائل الإعلام التركيبة دور هام وأساسي في تغيير أنماط الحياة لدى المستهلكين العرب وأن ما تبثه المسلسلات التركية الناطقة بلسان عربي وما تقدمه من نماذج بديلة لتلك الحياة، فإننا لا نجدها في مسلسلاتنا وشاشاتنا العربية.

المطلب الثاني: المسلسلات التركية لا تعكس الصورة الحقيقية للحياة في تركيا:

إن المسلسلات التركية تلعب على أوتار كل ما هو مهمل وممنوع ومحرم في حياتنا، إلا أن هذه الصورة التي يريد صناع تلك المسلسلات ترويجها عن تركيا في حقيقتها معدة للتصدير لا لغرض آخر.

إن هذه الصورة في الحقيقة لا تعكس الصورة الحقيقية للحياة في تركيا، والمعروف عن تركيا تاريخيا غير الذي يعرض في المسلسلات الاستهلاكية وما يقدم فيها من قيم الحرية المعاصرة يفوق ما هو متاح في الحياة الأوروبية لتقدم صورة معاكسة لما تعلمناه في التاريخ عن العثمانيين القدامى.

لقد وجدت بعض الدول الإسلامية كدولة طاجيكستان في المسلسلات التركية جموحا لا تستطيع تحمله، ورأت أن الدراما التركية ستؤثر سلبا على شعبها بسب احتواء بعضها على مشاهد لا تناسب مجتمعاتهم بالرغم من استعانة الدراما التركية على بعض الممثلين الطاجيكستانيين للمشاركة فيها، وكذلك اعتماد بعض هذه الأسماء العربية، وما ينتهي مسلسل إلا ويبدأ آخر لتتصارع الشاشات على عرض هذه المسلسلات حصريا[38] هذا وجه.

أما الوجه أو الصورة الثانية لتركيا التي تعكس الوجه الآخر لتركيا، من حيث مواقفها الإنسانية مع النازحين السوريين وموقفها مع القضية الصومالية

وما تتعرض له من مجاعة وبصفة عامة مواقفها من الشأن السياسي العربي، مما جعل الجميع ينظرون إلى النموذج التركي في السياسة كمنهج يحتذى به مطلوب السير وفقه، وهكذا يلاحظ اجتماع الصورتان الخيالية المتلفزة والعملية الحية للمواقف التركية، لتعود لإبراز الصورة لدى الذهنية العربية، وليلغي من الذاكرة تلك الصورة التاريخية التقليدية السلبية[39].

فتركيا بمواقفها وبسياستها وثقافتها هذه تكسب الشعوب العربية وتضعها في صفها، حيث نلاحظ مجتمعاتنا العربية أصبحت تتحدث عن أبطال المسلسلات وكأنهم من أفراد العائلة، وتتحدث عن المنتجات والمنتجعات والمصايف والموانى التركية.

المطلب الثالث: الإستراتيجية التركية – إملاء الفراغ الذي نشأ في الشرق الأوسط:

لقد شهد ت بعض البلدان العربية خاصة بلدان الربيع العربي، وبعد فترة من ركود العلاقات التجارية بسبب الثورات الشعبية تدفق المنتجات التركية المصدرة إليها وقد زادت في هذه الفترة بـ84٪ وتطور الشأن الاقتصادي ليس على دول الخليج العربي التي تعد السوق المفضلة لشركات التصدير التركية، وهذا لا يقتصر على الدول العربية فحسب بل أن الأمر امتد إلى الفضاء الأفريقي.

- لقد استغلت تركيا ما يسمى بالربيع العربي من ثورات الشعوب ضد حكامها وسلطاتها – كما استغلت المباراة الرياضية بين الجزائر ومصر ومخلفاتها الثقافية وتداعياتها السلبية على العلاقات بصفة عامة.

- الفراغ المسجل بين المسلسلات السورية التي فرضت وجودها من المنافسة المصرية والتركية إلا أن الوضع السياسي والعسكري في سوريا استفادت منه تركيا لغزو شاشاتنا الصغيرة.

- اعتماد المسلسلات التركية على الدبلجة العربية (السورية) القريبة إلى المجتمعات العربية على غرار اللهجة المصرية.

- الضخ المستمر للمسلسلات التركية في مختلف القنوات الفضائية بسبب أسعارها التنافسية مقارنة بالمسلسلات العربية الأخرى.

- إقحام المسلسلات التي تحتوي على مواقف إسلامية لجذب المشاهد العربي.

- معرفة المنتج التركي للمسلسلات للواقع الاجتماعي العربي، وعليه يركزون على الجوانب التي لا يمكن التطرق إليها أو معالجتها من خلال المسلسلات العربية المألوفة (قضايا الاغتصاب) كمثال على ذلك.

المطلب الثاني: مفهوم الهوية:

إن مفهوم الهوية حسب المعاجم الحديثة هي (حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية والتي تميزه عن غيره، وتسمى أيضا وحدة الذات)[40]

وإذا استندنا إلى المفهوم الفلسفي الحديث فإن المعنى العام للكلمة لا يتغير وهو يشمل الامتياز عن الغير والمطابقة للنفس أي خصوصية الذات، وما يتميز به الفرد أو المجتمع عن الأغيار من خصائص ومميزات ومن قيم ومقومات، وتستعمل كلمة هوية في الأدبيات المعاصرة لأداء معنى كلمة (Identité) التي تعبر عن خاصية المطابقة أي مطابقة الشيء لنفسه أو مطابقته لمثيله[41].

والهوية في ثقافتنا العربية الإسلامية هي الامتياز عن الأغيار من كافة النواحي، ولفظ الهوية يطلق على معان ثلاثة (التشخص، والشخص نفسه، والوجود الخارجي).

- والهوية عند الجرجاني: الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق[42].

❖ أما صامويل هنتنغتون وهو من أحد دعاة العولمة الأمركة قال: لقد شهدت التسعينات انفجار أزمة هوية كونية أينما تجد الناس تراهم يتساءلون من نحن؟ لمن ننتمي، من هو الآخر.

- أما ألكيس ميكشيللي: فالهوية عبارة عن مركب من العناصر المرجعية المادية والاجتماعية والذاتية المصطفاة التي تسمح بتعريف خاص للفاعل الاجتماعي[43].

وبما أن الهوية مركب من العناصر فهي بالضرورة متغيرة في الوقت نفسه لذلك فان رسم حدود الهوية أو الخصوصية أمر صعب على صعيد أكثر منه علمي خاصة وأن الهوية يمكن التعبير عنها أو تجسيدها من خلال سمات كثيرة ومختلفة، فقد يعبر عنها من خلال الدين أو اللغة أو الدولة الوطنية أو القومية

وكل هذه الخصائص متغيرة حسب طريقة استخدامها وتوظيفها لذلك يمكن لمجتمع واحد أن يبدل هويته حسب المراحل التاريخية والظروف المحتمة.

وقد أثبت التاريخ كيفية تأثير السياسة على تحديد الهوية. فالأمة العربية خلال الستينات كانت مقتنعة بحتمية سيادة القومية العربية، أما الآن فقد صارت تردد شعار الإسلام هو الحل.

لذلك يرى بعض الباحثين أن الهوية أصلا مصطلح سياسي ولد ضمن عملية صراعات سياسية [44].

ويعتقد بايار أن هناك علاقة معقدة بين التصورات الثقافية والممارسات السياسية والأساليب الشعبية في التحرك السياسي والخيال السياسي، ويضيف بعد أن يصف النزاعات التي عرفها العالم أخيرا في حروب يوغوسلافيا والقوقاز والأوضاع في الجزائر ومنطقة البحيرات الكبرى في إفريقيا، وقد انعقدت تلك النزاعات حول مفهوم الهوية برغم أن الهوية الثقافية تقابلها بالضرورة هوية سياسية [45]

لقد أصبحت قضايا الهوية تأخذ شكلا حادا وبخاصة في البلاد ذات الصدع التي يوجد بها جماعات كبيرة من البشر ينتمون إلى حضارات مختلفة وفي تمشيهم مع أزمة الهوية، فإن مايهم الناس هو الدم والعقيدة والإيمان والأسرة، الناس عادة يهرعون نحو أولئك من نفس السلف والدين واللغة والمؤسسات ويتباعدون عمن هم عكس ذلك[46].

وفي زمن تفرض فيه العولمة الغازية للهويات والماحية للخصوصيات الثقافية على العالم[47].

فالعولمة تسعى إلى نخر الهوية القومية الوطنية عبر الاستلاب والتهجين وفرض نسق واحد من الكم وتذويب الهويات وطمس معالمها وهي صيغة جديدة من صيغ المواجهة الحضارية التي يخوضها الغرب بالمفهوم العام للغرب ضد هويات الشعوب وثقافات الأمم ومن أجل فرض هيمنة ثقافة واحدة وإخضاع العالم لسيطرة حضارة واحدة.

إن الهوية المفروضة على المجتمع الدولي بهذا المفهوم تتعارض تعارضا تاما مع قواعد القانون الدولي ومع طبيعة العلاقات الدولية بل أنها تتعارض كلية مع سنة

التعدد التي هي من السنن الإلهية ومع قانون التنوع الثقافي، وإذا استمرت العولمة في الاتجاه المرسوم لها ستكون إنذارا بانهيار وشيك للاستقرار العالمي لأن هذه الهوية المفروضة على المجتمعات الإنسانية والتي تسير في ركب العولمة بهذا المضمون تضرب الهوية الثقافية والحضارية في الصميم وتنسف أساس التعايش الثقافي بين الشعوب - كما أنها ستؤدي بهذا المفهوم الشمولي ذي الطابع القسري إلى فوضى على مستوى العالم في الفكر والسلوك وفي الاقتصاد والتجارة وفي الفنون والآداب والعلوم والتكنولوجيا وغيرها [48].

ولا مناص للإنسانية في الوقت الراهن من التحرر من ضغوط العولمة الكاسحة للهويات والطامسة للخصوصيات، نظرا إلى حاجتها الشديدة إلى مسايرة النظام العالمي الجديد في اتجاهاته الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية ومواكبة المتغيرات الدولية في هذه المجالات جميعا، ومع ذلك يمكن إيجاد تيار ثقافي إنساني مضاد يقف في مواجهة روح الهيمنة التي تنطوي عليها هذه العولمة فكرة ونظاما وتطبيقا وممارسة في انتظار ظهور وبروز قوى عالمية جديدة مضادة للقوة المتحكمة حاليا في مقاليد النظام العالمي أو على الأقل منافسة لها الند للند، ويذهب بعض علماء المستقبليات الغربيين إلى القول بأن تطورا حاسما سيقع في ميزان القوة العالمية وسيترتب على ذلك انقلاب جذري في توجهات العولمة وستترسخ الشرعية الدولية على قواعد القانون الدولي لا على منطق القوة كما هو عليه الوضع الحالي [49].

المطلب الثالث: مفهوم الانتماء:

يعد الانتماء محورا مفصليا يكشف الكثير عن الآلية النفسية التي تتحكم في علا ئقية المجتمع بأفراده، وما زال الكثيرون ينظرون إلى الانتماء على أنه يخص الجانب السياسي وتجلياته في حين أنه يتجدد في كافة الجوانب الاقتصادية والثقافية والاجتماعية [50].

فالانتماء يؤكد حضور مجموعة متكاملة من الأفكار والقيم والأعراف والتقاليد التي تتغلغل في أعماق الفرد فيحيا بها وتحيى به حتى تتحول إلى وجود غير محسوس كأنه الهواء يتنفسه وهو لا يراه [51].

ويشكل الانتماء جذر الهوية الاجتماعية وعصب الكينونة الاجتماعية فالانتماء هو إجابة عن سؤال الهوية في صيغة من نحن؟ والانتماء أيضا هو صورة الوضعية التي يأخذها الإنسان إزاء جماعة أو عقيدة كما أنه يشكل مجموعة الروابط التي تشد الفرد إلى جماعة أو عقيدة أو فلسفة معينة، وقد يأخذ صورة شبكة من المشاعر ومنظومة من الأحاسيس التي تربط بين الفرد والمجتمع وهذا بدوره يؤسس أيضا لمجموعة من العلاقات الموضوعية التي تتجاوز حدود المشاعر إلى منظومة من الفعاليات والنشاطات التي يتبادلها الفرد مع موضوع انتمائه، فالفرد في القبيلة يشكل صورة مطابقة لصورتها، إذ يحمل روحها ويجسد معانيها ويستلهم عاداتها وتقاليدها، إنه صورة مصغرة لقبيلته، وهذا يعني أنه يطابقها ويعبر عنها، وتلك هي صورة الهوية لأن مفهوم الهوية يعني المطابقة بين شيئين في نسق وحدة واحدة.

وإذا نظرنا إلى الإنسان العربي المعاصر نجده يعاني أزمة هوية وانتماء تتصف بطابعي العمق والشمول، وتعود هذه الأزمة إلى وجود الإنسان العربي في ظل كيانات اجتماعية متعددة ومتعارضة تبدأ بالقبيلة والطائفة حينا وتنتهي بالدين والقومية أحيانا [52].

فالوطن العربي كما تعلن بعض الدراسات العربية (كيان مركب معقد) تتداخل فيه عناصر الو لاءات المحلية بالولاءات الوطنية، ولا تتطابق فيه حدود الجغرافيا مع حدود المشاعر، ولا حدود السياسة مع حدود الأمة[53]، وبالتالي فإن تعددية الانتماء وتناقضاته تؤدي إلى حالة من الانشطار في الهوية الاجتماعية وإلى حالة من التمزق الوجداني الداخلي عند الإنسان العربي الذي تتخاطفه وفي الآن الواحد مشاعر انتماء اجتماعية متعارضة ومتنافرة في مختلف المستويات والاتجاهات، فأغلب المجتمعات العربية تعيش تحت تأثير موجة من القيم التعصبية والتمييز الطائفي والإقليمي والعشائري والعرقي الذي ينخر عظام الوجود الثقافي في الحياة العربية المعاصرة ونتيجة هذه الو لاءات الضيقة بدأ الإنسان العربي المعاصر يتعرض لكل أشكال الاضطهاد والتمييز والتسلط ويعاني مختلف ألوان التعصب والقهر، حيث بدأت قيم التسامح تتضاءل إن لم نقل غائبة تماما وتركت مكانها لقيم التعصب الطائفي حينا والعشائري أحيانا.

فإشكالية الانتماء والهوية تطرح بين القضايا الساخنة في المجتمع العربي المعاصر وتتداخل حدود هذه المسألة مع منظومة القضايا الفكرية والاجتماعية الحيوية في المجتمعات العربية وتبدأ هذه الإشكالية بأسئلة قديمة متجددة حول أولوية الهوية والانتماء هل نحن عرب أم مسلمون وهل أبناء الوطن أم أبناء العشيرة وهل أبناء الطائفة أم أبناء الدين، ورغم بساطة هذه التساؤلات فإن الإجابة عنها يمكن أن تؤسس لرؤية سوسيولوجية بالغة الأهمية والخصوصية في المجتمع، كما يمكنها أن تقدم صورة موضوعية لصورة الهوية التي يحتكم إليها الوجود الاجتماعي والسياسي في المجتمعات العربية، ويراهن عدد كبير من المثقفين العرب على تصدع المشاعر القومية وتآكل حماسة الجماهير العربية المعهودة للقيم والطموحات القومية، وتبنى هذه الفرضية على خلفية الإخفاق الكبير الذي منيت به القوى السياسية القومية في الوطن العربي، وذلك بعد وصولها إلى السلطة منذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين، فالأنظمة العربية القائمة والتي رفعت الشعارات القومية ووصلت إلى السلطة على عجلات الدفع القومي وعلى خلاف ما هو مطلوب منها عززت واقع التجزئة والقطرية بين البلدان العربية وفشلت في مختلف مجالات النشاط السياسي القومي والإنساني والاجتماعي[54]، مما أثر تأثيرا بليغا على نفوس الجماهير العربية التي فقدت كل آمالها في أنظمتها القائمة، مما جعلها تبحث عن قوى سياسية جديدة علها تكون أكثر صدقيه في النضال من أجل تحقيق طموحاتها الاجتماعية والقومية، ويضاف إلى ذلك تخاذل الأنظمة العربية إزاء القضايا القومية والوطنية على مختلف الأصعدة والأزمنة وإزاء هذه الحقائق بدأ كثير من الكتاب والمفكرين يؤكدون تراجع المشاعر القومية عند الناشئة العربية التي عاشت في أجواء النزعات الإقليمية الضيقة[55].

لقد أدت هذه التحولات والانتكاسات إلى اهتزاز مشاعر الانتماء القومية والوطنية وجاءت لتبدد كثيرا من أحلام الانتماء العربي في ظل تنامي النزعات الكيانية القطرية الصغرى، ولا سيما في جوانب الحياة الثقافية والاجتماعية.

المبحث الثاني: انعكاسات المفاهيم الثقافية في ظل العولمة:

يكتسب موضوع التفاعل الثقافي في إطار النظام الدولي الجديد أهمية كبرى لاعتبارات متعددة لعل من أهمها استهدافه نشر وتعزيز منظومة الثقافة

الليبرالية بشقيها السياسي والاقتصادي، وفي نموذجها الأمريكي تحديدا، من ذلك يشير مفهوم التبادل الثقافي إلى ذلك النشاط الذي يعبر عن تفاعل الحضارات والثقافات بما فيها من تأثر وتأثير طبيعي وضروري بين الثقافات البشرية، ويقوم التبادل الثقافي بين الأمم على أساس الحوار المبني على الاعتراف بأن لدى الآخرين مايمكن تعلمه عنهم ومنهم.

إن القبول بالبعد الثقافي للنظام الدولي، أو تدويل الثقافة لا يحظى عادة بالإجماع، خاصة عندما يرتبط بتوجهات وعمليات الأمركة نظرا لارتباطها بالجوانب الثقافية للعلاقات الدولية، وما يرتبط بذلك من شكوك ومخاوف من تنامي حالة التبعية الثقافية، ومخاطر الدعوة إلى ثقافة عالمية وحيدة وما تعنيه من هيمنة ثقافية واحدة هي الثقافة الأمريكية، وطراز الحياة الأمريكي على العالم، وتسطيع الثقافة العالمية، وصياغتها على نمط واحد بدلا من إغنائها وإثرائها بأنماط الثقافات المختلفة [56].

وعلى هذا الأساس فإنه من الطبيعي أن تتزايد المخاوف من أن يؤدي ارتباط عملية التبادل الثقافي بالنظام الدولي الجديد وجهوده للترويج لمفاهيم وثقافة العولمة إلى حدوث نوع من التبادل اللا متكافئ بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية، وما يعنيه ذلك من احتمالات لعودة عمليات الغزو الثقافي وتكريس مفاهيم التبعية الثقافية، وغير ذلك من تداعيات عملية تصدير العادات والقيم الأمريكية الاستهلاكية، ليس فقط إلى أوروبا ودول العالم الثالث، بل وإلى العالم العربي والإسلامي من خلال وسائل الترغيب والإغراء وتقديم هذه الأنماط السلوكية من خلال وسائل الإعلام كنمط من أنماط الإمبريالية الثقافية التي تمارسها أمريكا على هذه المجتمعات وغيرها [57].

إن شعور دعاة العولمة بأن الوحدات الثقافية التي تتشكل على أساسها هويات الأمم ستكون صاحبة الدور الأقوى في تحديد أطر التعاون بين الشعوب والمؤسسات على جميع الأصعدة بما في ذلك الاقتصاد لأن التوحد الثقافي والتفاهم يستميل من كان في هذه الخانة إلى الرغبة في التعاون فيما بينهم، وهذا معناه أن العرب والعالم الإسلامي سيتعاونون وكذلك الأوروبيون أصحاب الثقافة الواحدة لمواجهة طغيان وجشع أمريكا.

ولهذا الغرض ولتوضيح الأفكار المعالجة لهذا الموضوع خصصنا المطلب الأول لدراسة انعكاسات المظاهر الثقافية والمطلب الثاني لإفرازات العولمة وأخيرا المطلب الثالث لمتغيرات الانتماء.

المطلب الأول: انعكاسات المظاهر الثقافية:

لمواجهة تحديات العولمة على ثقافتنا العربية الإسلامية ولغتنا. خاصة وأن اللغة والدين أصبحا مقصدين للعولمة وأصبحت الثقافة نقطة الخطر العظمى حيث تصادر الهويات وتزاح ثقافات وتتفه لغات ليحل محلها لغة واحدة – لغة القطب الرئيسي. فالعناصر الرئيسة لأي ثقافة أو حضارة هي اللغة والدين [58].

وانتصار العولمة رهن بإلغاء الأديان واللغات والإبقاء على دين واحد ولغة واحدة عولمية، ولمواجهة تحديات العولمة على ثقافتنا العربية الإسلامية ولغتنا يجب علينا تحديد بعض مميزات ثقافتنا التي لا شك أنها تتعارض كليا وتتناقض مع ثقافة العولمة ومن أبرز مقومات ثقافتنا العربية:

1) الإيمان الديني: حيث أن الأمة العربية مهد الرسالات السماوية المتعاقبة وبالتالي فإن القيم الناظمة لحضارتنا قيم ومبادئ سامية مستمدة من الوحي الإلهي وأن حركة أمتنا الحضارية ومسارها التاريخي لا يناسبها إلا هذه القيم.

2) الإنسان العربي انطلاقا من النص القرآني: [ولقد كرمنا بني آدم. . .] [59] وهو المحور الرئيسي في حضارتنا والغاية من ذلك تحقيق سعادته.

3) الروح الجماعية: فثقافة العرب تنبذ الأنانية بحيث أن الإنسان يتعوذ من الأنا كما يتعوذ من الشيطان. ولا تقديس في ثقافتنا للفردية وعبادة الذات ومصالحها كما هو الحال عليه في الدول الغربية خاصة أمريكا. إذ لا مانع عندها وفي ظل لبراليتهم من أن يسخر المجتمع أو بعضه لمصالح الإنسان الفرد صاحب النفوذ[60].

4) التوازن الروحي: سواء بذلك أكان التوازن ماديا أ ومعنويا بحث لا يطغى جانب على آخر، والتوازن يولد الاعتدال والوسطية ويمنع الانحراف والتطرف.

5) ثقافتنا العربية تمجد القيم وتعلي من شأنها فتشجع على التزام الفضائل ومحاسن الأخلاق، وتنبذ مساوئ الأخلاق والمفاسد.

6) انطلاقا من قاعدة تصنف الأسرة في المقام الأسمى: فان ثقافتنا تقدس الرابطة الزوجية واستقرار الأسرة والسكن في العلاقة بين أطرافها هو الأساس، ولذلك وجب الربط بين الوعي القومي والهدف الوحدوي، والوعي الثقافي والوعي القومي لا يبلغان الكمال ما لم يرافقهما وعي لغوي سليم إذ كيف يكون هناك وعي ثقافي وقومي إذا لم يكن قبلهما وعي لأول مقومات الثقافة القومية [61].

ولمواجهة تحديات العولمة في ميدان الثقافة علينا إعداد جيل - تربويا ولا نغلق باب الانفتاح على الآخرين والحوار مع من يجب التحاور معه وقبول الآخر الذي لا يمارس العدوان ولا الاغتصاب لحقوق الأمة وللوصول إلى هذه الغاية نحتاج إلى اعتماد منهج ديمقراطي ومناخ حريات عامة لا مكان فيه للتمييز على أساس الدين أو اللون أو العرق لأن قيمنا ببعدها العالمي الإنساني تقوم على منهج الانفتاح والتفاعل من أجل التقدم والتطوير كي تحقق المناخات اللازمة لإسعاد الإنسان مع احترام التنوع وهذا يبدأ من داخل الأمة خلافا لما تهدف إليه العولمة من سيادة نظرة أحادية من أجل تحقيق السيطرة والهيمنة مع العمل على إلغاء الآخرين وهذا نموذج العولمة الأمركة الذي يريد أن تحل ليبراليته بديلا من القيم الناظمة لحضارات الآخرين، مع التركيز على القيم المادية وهذه لا تقيم وزنا للإيمان ولا للقيم الأخلاقية والفضائل [62]، بينما تؤسس قيم الثقافة الإسلامية وما تمليه من قواعد تربوية لمنهج العمل من أجل امتلاك القدرات وإعمار الأرض مع توظيف كل الأفعال والممارسات باتجاه ما يحقق مرضاة الله تعالى.

ولتتوافر للجميع ظروف العيش الكريم على أساس الآية القرآنية: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ [63].

فالنزعة الفردية وتقديسها وتسخير المجتمع أو بعضه لمصالح الإنسان الفرد صاحب النفوذ أو الرجل السوبرمان كما قال الفيلسوف الألماني (نيتشه) وهذه النزعة الفردية التي تتركز عليها العولمة لا تتلاءم مع النظام الاجتماعي الذي تدعو له قيمنا ومبادئنا الثقافية السامية.

فالعولمة تنشر قيما ومفاهيم عنصرية داعمة بذلك العنصرية الصهيونية كما لا يخفى على أحد فلا احترام لكرامة الإنسان ولا لقيمه الأخلاقية ولا للفضائل، فالفرد له كرامته وحقوقه وعليه واجبات على أساس عادل، وأفراد المجتمع من الأسرة إلى الأمة متكافلون متوادون متراحمون يسعون في كل

أمورهم صفا واحدا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، كما جاء في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ [64].

فثقافة العولمة تعتمد أكثر من مكيال في وقت واحد كما هو الحال عند الأمريكي إذ نجده قد طالب بتقديم الرئيس الصربي العنصري السابق لمحكمة العدل الدولية دون أن يطالب بتقديم قادة العدو الإسرائيلي للمحاكمة من سنة 1948 إلى يومنا هذا، بينما ثقافتنا وقيما تأمرنا بالعدل والمساواة بين الناس ودليل ذلك القول المشهور لخليفة رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه الملقب بالفاروق، قوله"متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا" وهذا توجيه ونشر قانون الحق والعدل ومنع الظلم والعدوان.

وبذلك يستلزم أن نؤسس لجيل ملتزم قيم العدالة يقاوم الظلم ويجاهد بمختلف السبل والوسائل على أساس قانون المدافعة وبكل شجاعة واستعداد للتضحية والفداء [65]. لان الخطر الأعظم يتجلى في ظل الاجتياح العولمي الثقافي الساعي إلى إنهاء الخصوصية الثقافية للشعوب وتفتيتها من خلال خلق بيئة ثقافية ومن خلال إحياء ثقافة للطوائف والأقليات العرقية والدينية، وسعيها لخلق نموذج ثقافي عالمي عولمي معمم على أجزاء المعمورة [66].

وباسم الثقافة تحرق المكتبات وتخرب وتنهب الجامعات ودور العلم وتهديمها وتدمير مختبراتها وملاحقة علمائها للقضاء على ثقافتنا العربية والإسلامية، إلا أن الثقافة العولمية مآلها الفشل والهزيمة- كما هزمت أصلا من قبل، لأن كل ما يؤسس على الظلم والباطل مصيره الفشل عاجلا أم آجلا، وبلغة القانون كل ما بني على باطل فهو باطل.

المطلب الثاني: إفرازات الهوية:

إن اتجاهات العولمة تسير نحو التأثير السلبي على الهوية، أول ما يثير الانتباه عند التأمل في موقف الغرب من هويات الشعوب هو جمعه بين موقفين متناقضين، فهو من جهة شديد الاعتزاز بهويته حريص عليها، وهو من جهة ثانية رافض للاعتزاز بالهويات الوطنية لشعوب العالم لإحساسه بأن العولمة من شأنها أن تؤدي إلى مزيد من الوعي بالخصوصية الثقافية والحضارية وتلك في نظر الغرب عموما.

إن الهوية المفروضة على المجتمع الدولي بهذا المفهوم تتعارض تعارضا تاما مع قواعد القانون الدولي ومع طبيعة العلاقات الدولية.

فالعولمة هنا تسعى إلى تذويب الهويات وطمس معالمها وتهجينها فأصبحت قضايا الهوية تأخذ شكلا حادا ليس فقط بالنسبة للشعوب التي تحاول أن تصوغ دولا قومية جديدة كما هو الحال في يوغوسلافيا السابقة وإنما على المستوى العام وكذا بالنسبة للبلاد ذات الصدع التي يوجد بها جماعات كبيرة من البشر ينتمون إلى حضارات مختلفة وفي تمشيهم مع أزمة الهوية [67].

الفرق شاسع بين عالمية ندعو لها وهي حوار حضارات وتلاقح ثقافات على قاعدة الاعتراف المتبادل بين الأمم واحترام كل واحدة منها لخصائص هوية الأخرى وهذا ما دعت إليه الآية الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾[68].

وبين عولمة طرحها الأمريكي خلال التسعينات في محاولة السيطرة والانفراد بالقرار العالمي مع ممارسة غزو شامل للشعوب الأخرى، ومحاولة ضرب هويتها وخصائصها مركزة في ذلك على تعميم اللغة الإنجليزية في وسائل الإعلام والاتصال وأنظمة التجارة والمعلوماتية والتعليم خاصة الجامعي منه، مضافا إليه تعميم أنماط فنية هابطة تنطلق مما يسود المجتمع الأمريكي ويحاولون من خلاله تعميم نمطهم وفرضه على الشعوب بإقناع الآخرين ومنهم العرب والمسلمون بأن العولمة أمر واقع ولا مناص منها وأن نهاية مطاف حركة ومسار التاريخ ستنتهي في أحضان الليبرالية الغربية بتطبيقاتها الأمريكية وما على الأمم إلا أن تسارع للحاق بهذا المسار ما دامت ستصل إليه لا محالة

يصرح صامويل هنتنغتون في كتابه صدام الحضارات بقوله: "في العالم الجديد سوف تتأثر أشكال التجارة تأثرا حاسما بأشكال الثقافة، رجال الأعمال يعقدون صفقات مع أناس يمكن أن يفهموهم ويثقوا بهم، والدول تخضع سيادتها للإنجازات الدولية المكونة من دول ذات عقول متقاربة يفهمونهم ويثقون بهم وجذور التعاون الاقتصادي توجد في المشترك الثقافي والمشترك الثقافي ينطلق من اللغة والفكر والقيم كلها نسيج واحد متكامل وبذلك يكون العرب في ظل تحديات العولمة (الأمركة)[69].

المطلب الثالث: متغيرات الانتماء:

لقد شكلت التحولات السياسية والاجتماعية منطق التحولات القيمية والاجتماعية الحادثة، فالتغير الاجتماعي وفقا لأبسط القانونيات الاجتماعية، ينعكس في صورة تغيرات قيمية تتناسب مع طبيعة ومستوى ومنطق التغيرات الحاصلة[70] وإذا كانت المنطقة العربية شهدت وتشهد تحولات سياسية واجتماعية عميقة فإن السؤال السوسيولوجي الذي يطرح هو كيف تنعكس هذه التغيرات في منظومة القيم السياسية والاجتماعية السائدة، وهل بدأت هذه المشاعر القومية تتلاشى وتتبدد تحت صدمة المعاناة الوجودية للشعوب العربية.

يصف خلدون النقيب هذه التحولات ويحلل مضامينها السوسيولوجية في دراسة له حول الثورة الصناعية حيث يقول: إن الجيل الذي يعيش في ظل هذه الثورة الصامتة (التغيرات القيمية في المجتمع) يخضع إلى تأثيرات متناقضة فهذا الجيل يملك مهارات أفضل للتعامل مع السياسة والقضايا العامة، ولكنه جيل تشكل وعيه وتلونه وسائل الإعلام [71] هذا الجيل هو جيل الأبطال الالكترونيين وسلاحف النينجا، ومدرسة المشاغبين وهذا الجيل أحسن تعليما وأوسع أفقا ولكنه فقد الثقة بالدولة القومية المبنية على فكرة الأمة ذات الخصائص المشتركة ولذلك فهو يوظف تعليمه في إذكاء النعرات القبلية والطائفية، تلك هي الجماعات التي يحس في كنفها بالأمان بعلاقاتها الوشائجية من حيث أن الوشيجة هي صلة الرحم العميقة الجذور في اللاوعي الجمعي [72].

ومن المظاهر المتناقضة اللافتة للنظر هذه الاستكانة إلى العلاقات الوشائجية والتبعية لشيخ القبيلة في الوقت الذي تتملك هذا الجيل نزعة التحدي للنخبة المهيمنة والحاكمة والتمرد بأخذ شكل التطرف الديني أو الرقص في الديسكو، والغضب من اختلاس المال العام مع معرفة أن الاختلاس هو الطريقة الوحيدة للثروة بسرعة وبدون جهد ولا تعب [73].

وعلى المستوى الاجتماعي بدأت الشعوب العربية تعاني اندفاعات تحديات اجتماعية تتعلق بالفقر والبطالة والجريمة والإرهاب والأمية والتصحر وقهر المرأة وغياب الديمقراطية وانخفاض مستوى الحياة الاجتماعية إلى جانب اغترابها القومي.

شهدت هذه الشعوب ضغوطا كبيرة في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، ولقد بدا واضحا في العقد الأخير من الزمن وعبر تجارب سقوط الدول الاشتراكية أن القيم السياسية ذات الطابع الرسمي والإيديولوجي قد انهارت بين عشية وضحاها وتبين أن بعض القيم المضمرة استطاعت أن تنفلت من رباطها وأن تظهر بقوة لتشكل منطق السلوك والفعل السياسي والاجتماعي في كثير من الدول الاشتراكية سابقا، ففي الاتحاد السوفيتي هزمت القيم السياسية والاجتماعية فجأة والتي كانت تحتل مكان الصدارة في سلم القيم الاشتراكية، الأممية، الحزبية العمالية، وتبين جليا نهوض القيم القومية المناهضة للأممية والعرقية المناهضة للبعد الإنساني والليبرالية والاقتصاد الحر بديلا من مفهوم الاشتراكية، وهذه القيم كانت كامنة في عمق اللاشعور الاجتماعي، فبدأت الحروب ذات الطابع الإقليمي والطائفي والقومي لتتبدد أسطورة الوجود الاشتراكي في العالم، فالقيم تضرب جذورها عميقا في الثقافة وليس من السهل دائما تبديد القيم والقناعات القديمة وغرس القيم الجديدة.

لقد لاحظ إميل دور كهايم إبان التغيرات الكبرى ولا سيما انتقال المجتمعات الأوروبية من مرحلة الإنتاج الزراعي إلى مرحلة التصنيع- وجود مجتمعات أطلق عليها اصطلاح (Anomie) أي مجتمعات من غير قيم[74].

لقد قام نزار إبراهيم بدراسة مهمة بعنوان (البنى الاعتقادية في الذهنية الشبابية العربية المثقفة) حيث تناول في دراسته عينة واسعة من الشباب العربي تهدف هذه الدراسة إلى تقصي مضامين واتجاهات العقلية السائدة عند الشباب، وقد بينت الدراسة أولوية الانتماء الضيق عند الشباب العربي، حيث أخذت الانتقادات إلى العائلة والقبيلة أهمية أولوية على الانتماء الوطني أو القومي [75].

وفي الأخير نخلص القول إلى تصور شكل النظام الدولي الجديد، وكيف سيبدو في المستقبل.

فمستقبل النظام ليس دائما محددا بدقة، لكنه يبدو أن هذا النظام أحادي القطبية تهيمن عليه الولايات المتحدة الأمريكية، وتحتفظ فيه بأصدقائها، بينما يتم التخلص من أعدائها بالإكراه. ومن المتوقع أن يستمر ذلك إلى أن تنهض قوة أخرى كالصين على سبيل المثال، وبما لديها من قوة لتواجه القوة المسيطرة حاليا، ومن المحتمل في ظل هذا التصور، وعلى نحو ما يؤكد عليه Beiles. .

أما اليابان من المحتمل أن تعاني من تقلص وانكماش في دورها الدولي، بل أنها ستتعرض لقيود تتزايد كثافتها بسبب قوى العولمة، أما روسيا فهي وعلى حد وصف جاك سنيدر (قوة متدهورة) ويخلص في قوله أن التهميش المتصاعد لدور روسيا على الساحة الدولية سيجعل منها كيانا غير ذي صلة. وبوجه عام، تتجه الأدبيات إلى التمييز بين

سيناريوهات ستة تتضمن:

- نموذج الأقطاب الجغرافية الاقتصادية الثلاثة (الولايات المتحدة، واليابان، وألمانيا) وهو لا يولي أي أهمية لاحتمالات صعود قوى اقتصادية أخرى.

- إعادة إحياء نموذج توازن القوى، ويتضمن أربع قوى رئيسية هي (الولايات المتحدة، روسيا الاتحادية، والصين، وأوروبا)، المؤكد أن أي قوة منفردة لا يمكن لها تحقيق الهيمنة والسيطرة، ويمكن أن تبرز قوى دولية أخرى مثل اليابان والبرازيل، وبعض القوى الإقليمية الأخرى.

- نموذج صدام الحضارات الذي يذهب إلى أن صراعات المستقبل ستكون حضارية ثقافية.

- سيناريو مناطق السلام ومناطق الحروب. الأولى تتضمن الولايات المتحدة وغرب أوروبا وكندا واليابان، مقابل دول الاتحاد السوفييتي السابق، ومعظم دول آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية.

- نموذج القرية العالمية: أما نموذج القرية العالمية سوف يعتمد على التقدم التكنولوجي والمعرفي ووسائل الاتصال بشكل مباشر.

- نموذج الأقطاب المتضامنة، ويأخذ هذا النموذج في الاعتبار صعوبة العودة إلى القطبية الثنائية، ومن ثم يأخذ في الاعتبار باقي القوى الواعدة في النظام الدولي بحيث تنتظم علاقاتها في إطار معسكرات يرأس كلا منها أحد هذه القوى في مواجهة الأخرى (الصين على سبيل المثال في مواجهة اليابان والولايات المتحدة).

الهوامش:

---

(1) أنور الجندي، معلمة الإسلام، مجلد 1 المكتب الإسلامي، بيروت لبنان 1980. ص 524، 525

(2) تركي الحمد، الثقافة العربية، في عصر العولمة، دار الساقي، بيروت لبنان 1999 ص 15

(3) د الياس فرح، الثقافة والحضارة ،بغداد ،ط1،دار الرشيد للنشر1979 ص .ص 57، 5

(4) الأستاذ ميشيل عفلق، في سبيل البحث ،ج1، بغداد دار الشؤون الثقافية 1986.ص 153

(5) الخطة الشاملة للثقافة العربية- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1996 ص. ص: 16،17

(6) عبد الباري الدرة، العولمة والهوية، المؤتمر العلمي الرابع، لكلية الآداب والفنون، جامعة فيلادلفيا، عمان، الأردن، 1999، ص 53.

(7) الدور الثقافي للجامعة، بين خصوصية الحداثة وتنافسية العولمة، العولمة والهوية، ص22.

(8) عبد الباري الدرة – العولمة والهوية، مرجع سبق ذكره، ص 335 .

(9) مجلة أفكار- العدد، 142 وزارة الثقافة الأردنية، الأردن، أيار 2000 ص 17.

(10) عبد الباري الدرة، العولمة والهوية، مرجع سبق ذكره . ص 334.

(11) عبد الباري الدرة، العولمة والهوية، نفس المرجع السابق . ص 215.

(12) عبد الباري الدرة، العولمة والهوية، نفس المرجع السابق . ص 214.

(13) عبد الباري الدرة، العولمة والهوية، نفس المرجع السابق . ص 214.

(14) عبد الباري الدرة، العولمة والهوية، نفس المرجع السابق . ص 215 .

(15) فيدرين هوبير- فرنسا ومسار العولمة، ترجمة جبور الدويهي، دارا لنهار، ط1، بيروت لبنان سنة 2001، ص: 55، 57.

(16) د/ عبد الله عبد الدائم، العرب والعالم بين صدام الثقافات وحوار الثقافات، في الثقافة العربية : أسئلة التطور والمستقبل، سلسلة كتب المستقبل العربي 29 – مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنا، 2003. ص .173 – 193 .

(17) Akira Irtye. Culture Internationalism And World Order , Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1997 Reviewed by thomas Scloonover m In Political science Quarterly , Vol, June 1998 P.P : 695- 696

(18) صمويل هنتنقتون - صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي الجديد، ترجمة د- مالك أبو شهيوة، د- محمود محمد خلف، دار الجماهيرية العظمى للنشر والتوزيع والأعلام، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، الفاتح 1999 ص . 133

(19) سورة الإسراء الآية 70

(20) د- أسعد الحمداني، ويلات العولمة على الدين واللغة والثقافة،ط1، دار النفائس، 2002 . ص: 104.

(21) المبارك مازن - اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي، ، دار النفائس، ط4، بيروت . لبنان سنة 1998، ص 8 .

(22) الكتاني، حمزة - الحرف العربي، أداة لتبليغ التكنولوجيا في: الحرف العربي والتكنولوجيا، أكاديمية، الرباط، المملكة المغربية، سنة 1988، ص . ص 96، 97 .

(23) سورة القصص: الآية77.

(24) الحمد تركي- الثقافة العربية في عصر ا لعولمة، ، دارا لسامي، ط1، بيروت لبنان سنة 1999، ص . ص22- 27.

(25) الحمد تركي– الثقافة العربية، نفس المرجع السابق، ص، ص21، 28 .

(26) د/ حسن العابد – الثقافة بين الأصالة والمعاصرة، المعالم الثقافية والحضارية في الأردن، بحث ألقي في ملتقى عمان الثقافي العاشر، الأردن . في24، 28 /2002/01 .

(27)Samuel Huntington" the west Unique Not universal", Fore in Affairs, 6 Nov/Dec 1996 - Vol , 75, P. P : 28 - 46.

(28) سورة الحجرات، الآية: 13.

(29) هنتنغتون، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي الجديد، مرجع سبق ذكر، ص 220 .

(30) أحمد برقاوي، المشروع القومي وإشكالية الدولة القطرية، إبداع، العدد11، تشرين الثاني، نوفمبر 1998، ص . ص 10 - 15 .

(31) خلدون حسن النقيب، المشكل التربوي والثورة الصامتة، دراسة سوسيولوجيا الثقافة، سلسلة الروايات العلمية الموسمية المتخصصة، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة، الكويت 1993، ص15.

(32) خلدون حسن النقيب، نفس المرجع السابق، ص 13.

(33) خلدون حسن النقيب، نفس المرجع السابق، ص 15.

(34) مصطفى عمر التير، المشكلات الاجتماعية، تحديد إطار عام، الفكر العربي، السنة الثالثة، العدد19، كانون الثاني، يناير، شباط، فبراير، 1981، ص 31.

(35) نزار إبراهيم، البني الاعتقادية في الذهنية الشبابية العربية المثقفة، الوحدة، السنة الرابعة، العدد 39، كانون الأول، ديسمبر 1987. ص 88، 103.

(36) ميشال نوفل – ود تركيا إلى الشرق – الاتجاهات الجديدة للسياسة التركية – الدار العربية للعلوم ناشرون ص 38، 39.

(37) مجلة العربي - مجلة شهرية للثقافة العلمية - العدد645 أوت 2012 ص 8 – 10

(38) مجلة العربي - مجلة شهرية للثقافة العلمية - العدد645 أوت 2012 ص 11

(39) مجلة العربي - مجلة شهرية للثقافة العلمية مرجع سبق ذكره ص 13.

(40) محمد عمارة - مجلة الهلال، القاهرة مصر، فبراير . 1997 .

(41) الموسوعة الفلسفية العربية، مجلد1، معهد الإنماء العربي، بيروت لبنان. 1995. ص . 821 .

(42) الشريف بن محمد الجرجاني، التعريفات، دارا لكتب العلمية، بيروت لبنان، 1995 . ص . 257.

(43) ألكيس ميكشيللي – الهوية – دار الوسيم، د مشق . سوريا . 1993 . ص . 169 .

(44) موسى وهبة – الهوية، التواصل واللغة، مجلة مواقف، عدد 65 خريف 1991 ص :26

(45) جان فرانسوا بايار، أوهام الهوية،ترجمة حليم طوسون، دار العالم الثالث، القاهرة مصر 1998. ص: 7

(46) هنتغتون صامويل،صدام الحضارات،ترجمة طلعت الشايب، تقديم د/ صلاح قنصوه، دار سطور، سنة القاهرة . مصر، 1998، ص 204 .

(47) د/ أحمد زايد –عولمة الحداثة وتفكيك الثقافة الوطنية، مجلة عالم الفكر، المجلد . 32 .عدد 1 الكويت . يوليو، سبتمبر 2003 ص 14 .

(48) منعم العمار، العولمة، دورها في تهميش النظام الإقليمي العربي، قضايا إستراتيجية، مجلة فكرية فصلية، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، العدد 22 . 2000، ص 18 .

(49) د- عبد العزيز بن عثمان التو يجري، الحوار من أجل التعايش، دار الشروق، القاهرة. مصر، 1998م، ص69.

(50) مجدي أبو زيد، قضية الانتماء وأسطورة بيوري دان (موقع إسلام أون لاين على الانترنت، ص 1.

(51) عبد المنعم المشاط، التعليم والتنمية السياسية، مستقبل التربية العربية، مج1، العدد2، القاهرة، مصر 1995، ص17.

(52) تعليم الأمة العربية في القرن الحادي والعشرين، الكارثة أو الأمل: التقرير التلخيص لمشروع مستقبل التعليم في الوطن العربي، تحرير سعد الدين إبراهيم، مشروع مستقبل التعليم

في الوطن العربي، التقرير النهائي (عمان، منتدى الفكر العربي الكويت) الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، 1991، ص37.

(53) تعليم الأمة العربية، في القرن الواحد والعشرين، نفس المرجع السابق، ص 37.

(54) انظر: علي أسعد وطفة، السياسات التربوية في الوطن العربي، شعارات قومية وممارسات قطرية، الفكر العربي، السنة 18 العدد. 1997، 90.

(55) أحمد برقاوي، المشروع القومي وإشكالية الدولة القطرية، إبداع، العدد11، تشرين الثاني، نوفمبر 1988، ص 9 - 15.

(56) د/ عبد الله عبد الدائم، العرب والعالم بين صدام الثقافات وحوار الثقافات، في الثقافة العربية: أسئلة التطور والمستقبل، سلسلة كتب المستقبل العربي 29 – مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنا، 2003 ص. 173 – 193 .

(57)Akira Irtye. Culture Internationalism And World Order , Baltimore: Johns Hopkins University Press , 1997 Reviewed by thomas Scloonover m In Political science Quarterly , Vol . , June 1998 P.P : 695- 696

(58) صمويل هنتنقتون - صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي الجديد، ترجمة د- مالك أبو شهيوة، د- محمود محمد خلف، دار الجماهيرية العظمى للنشر والتوزيع والأعلام، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، الفاتح 1999 ص . 133

(59) سورة الإسراء الآية 70

(60) د- أسعد الحمداني، ويلات العولمة على الدين واللغة والثقافة،ط1، دار النفائس، 2002. ص: 104

(61) المبارك مازن - اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي، دار النفائس، ط4، بيروت. لبنان سنة 1998، ص 8.

(62) الكتاني، حمزة - الحرف العربي، أداة لتبليغ التكنولوجيا في: الحرف العربي والتكنولوجيا، أكاديمية، الرباط، المملكة المغربية، سنة 1988، ص 96، 97.

(63) سورة القصص: الآية77.

(64) الحمد تركي- الثقافة العربية في عصر ا لعولمة، ، دارا لسامي، ط1، بيروت لبنان سنة 1999، ص22- 27.

(65) الحمد تركي– الثقافة العربية، نفس المرجع السابق، ص، ص21، 28 .

(66) د/ حسن العابد – الثقافة بين الأصالة والمعاصرة، المعالم الثقافية والحضارية في الأردن، بحث ألقي في ملتقى عمان الثقافي العاشر، الأردن. في24، 28 /2002/01 .

(67)Samuel Huntington" the west Unique Not universal", Fore in Affairs, 6 Nov/Dec 1996 - Vol , 75, P. P : 28 - 46.

(68) سورة الحجرات، الآية: 13.

(69) هنتنغتون، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي الجديد، مرجع سبق ذكر، ص 220.

(70) أحمد برقاوي، المشروع القومي وإشكالية الدولة القطرية، إبداع، العدد11، تشرين الثاني، نوفمبر 1998، ص 10 - 15.

(71) خلدون حسن النقيب، المشكل التربوي والثورة الصامتة، دراسة سوسيولوجيا الثقافة، سلسلة الروايات العلمية الموسمية المتخصصة، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة، الكويت 1993، ص15.

(72) خلدون حسن النقيب، نفس المرجع السابق، ص 13.

(73) خلدون حسن النقيب، نفس المرجع السابق، ص 15.

(74) مصطفى عمر التير، المشكلات الاجتماعية، تحديد إطار عام، الفكر العربي، السنة الثالثة، العدد19، كانون الثاني، يناير، شباط، فبراير، 1981، ص 31 .

(75) نزار إبراهيم، البني الاعتقادية في الذهنية الشبابية العربية المثقفة، الوحدة، السنة الرابعة، العدد 39، كانون الأول، ديسمبر 1987 . ص . ص 88، 103 .